الجغرافيا السلوكية : المقرر الأكاديمي الغائب

أ.د. منصور أحمد عبد المنعم

أستاذ متفرغ تعليم الجغرافيا

بجامعة الزقازيق

أولى الفكر الجغرافي اهتماماً ملحوظاً بالثورة السلوكية مع نهاية فترة الستينات من القرن العشرين، وتزامن هذا مع الأخذ بالاتجاه الكمي والطرق العلمية في الدراسات الجغرافية.

وتحتل العمليات المعرفية عند الإنسان من حيث اكتساب المعرفة أو تنظيمها أو استخدامها مكانة لدى أصحاب المدرسة السلوكية في إطار من التفاعل بين البعد البيئي الفيزيقي والبعد البيئي الاجتماعي.

وتستخدم الجغرافيا السلوكية المدخل السلوكي في تفسير علاقات التفاعل بين الإنسان والبيئة. ولهذا المدخل بعض الملامح أو الخصائص المميزة يمكن أن نوردها على النحو التالي:

أولاً: المناقشات والجدول حول عملية التعرف البيئي لدى الإنسان وكيف يدرك العالم الحقيقي وطبيعة البيئة السلوكية والعالم داخل العقل وكيف يمكن التعرف عليه من خلال استخدام أدوات ووسائل غير مباشرة. وعلاقة هذا كله بمهارة صنع واتخاذ القرار.

ثانياً: استجابة الفرد لمثيرات البيئة الفيزيقية والبيئة الاجتماعية تمثل أموراً لها دلالة في التفسير والتأويل الجغرافي. وعلينا أن نعرف أن السلوك قد لا يمثل المنتج أو المخرج النهائي في عملية التفاعل بين الإنسان والبيئة، ولكن هذا السلوك يمكن أن يكون بداية لأمور جديدة في سلسلة من العمليات المتتابعة.

ثالثاً: تركز الجغرافيا السلوكية على سلوك الفرد أكثر من التركيز على مستوى المجموعة الاجتماعية.

رابعاً: تعتمد الجغرافيا السلوكية على فكرة تعدد التخصصات في تفسير الظاهرات ومثال هذه التخصصات علم الاجتماع، الأنثروبولوجي، التخطيط العمراني، علم الهندسة المعمارية، وعلم دراسة طباع الشعوب Ethology.

وهذا من شأنه أن يتطلب من الدارس للجغرافيا السلوكية الحذر في استخدام القياسات. وهذا يعني ألا يأتي أحد المعنيين بدراسة الجغرافيا السلوكية ويفتح كتاباً في تخصص ما تم الإشارة إليه ليأخذ فقرة أو عبارة أو فكرة ويقوم باستخدامها مباشرة لتفسير نص أو محتوى جغرافي.

ويعتبر علم النفس البيئي أكثر فروع علم النفس ارتباطاً بمجال الجغرافيا السلوكية. وهناك موضوعات خمسة في علم النفس الإنساني تمثل أهمية في فهم الجغرافيا السلوكية:

الإدراك	Perception
التعرف	Cognition
الدافعية	Motivation
المشاعر والعواطف	Emotion
الاتجاهات	Attitudes

ومن أشهر ما كتب في مجال الجغرافيا السلوكية، ما كتبه جون جولد عام ١٩٨٠ تحت عنوان: مقدمة في الجغرافيا السلوكية، وتلى ذلك كتاب لذات المؤلف اشترك معه في تأليفه جولدج وكان عام ١٩٨٧ وبعد هذا التاريخ لم تظهر كتابات في الجغرافيا السلوكية رغم أهمية هذا التخصص. وهذا الأخير ما دفعني لكتابة هذا المقال لعل الركام يتحرك من جديد. ويتكون كتاب جون جولد عام ١٩٨٠ من مجموعة أجزاء وفصول جاءت على النحو التالي:

الجزء الأول: اهتم بالأفكار المرتبطة بمجال الجغرافيا السلوكية والمنظور النفسي وعلاقته بالجغرافيا والسلوك البيئي.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد أولى اهتماماً لتطور عملية التعرف المكاني والمعلومات المكانية وكذلك عن الصور العقلية ومخططات المكان.

والجزء الثالث وجه للدلالة المعرفية للإقليم والمخططات الحضرية مع عناية للصور الذهنية والخرائط العقلية عن الإقليم Region والعالم.

أما الجزء الرابع والأخير فتم تخصيصه للتعرف المكاني والسلوك ودارت موضوعاته عن المدينة كمكان للمعيشة وعن السلوك في البيئة الفيزيقية أو الطبيعية.

وأخيراً التعرف المكاني وصلوك صناعة القرار وكيفية اتخاذه مع دراسة حاله لموقع صناعي مع اهتمام بالتصميم المكاني والسلوك.

فعلم النفس يهتم بكل من العقل والسلوك ولذلك يظل الجدل قائماً بين العلاقة بين العوامل العقلية والأنماط السلوكية. وتظل التفسيرات تتسع وتضيق في ضوء الفكر للمدارس النفسية.

البنائية على يد فوندت وتتشنر وامتدت من عام ١٨٧٠ – ١٨٩٠.

والوظيفية على يد وليم وجون ديوي وانجل وودورث واندروود وامتدت من ١٨٧٠ – ١٩٥٠.

والسلوكية على يد ماير وواطسون وهنتر وسكنر وسبنس وامتدت من ١٩١٠ – ١٩٤٠.

ونظرية الجشطلت على يد كوفكا وكوهلر وامتدت من ١٨٧٠ – ١٩٢٠.

ثم التحليل النفسي على يد فرويد وأدلر وفروم وامتدت من ١٨٨٠ – ١٩٤٠.

بداية علم النفس البيئي:

نشأ علم النفس بالتوازي مع الجغرافيا السلوكية. وكلاهما نتاج الفكر العقلي فترة الستينات من ق ٢٠ ويشتركا في خصائص أو سمات أربعة:

الأولى أنهما يشتركان في كونهما يتعاملان مع البيئة التي هي بتأثير تصرفات الإنسان.

ثانيهما أنهما يهتما بالناس أو الإنسان والذي هو جزء من أي مشكلة على الأرض.

ثالثهما أنهما نتاج نمو المشكلات الاجتماعية وضغوطها.

رابعهما أنهما يعكسا العلاقة والارتباط بين علوم المعرفة المختلفة.

والعجيب أنه لا يوجد تعريف محدد لعلم النفس البيئي ولكن هو عبارة عن دراسة علمية لعلاقة الإنسان مع البيئة والاهتمام بالمتغيرات النفسية. أو دراسة العلاقات بين السلوك الإنساني البشري وبين البيئة الطبيعية والفيزيقية. والأخيرة أكثر التعريفات مقبولية وشيوعاً وكذلك أكثر التعريفات المعمول بها أو العاملة.

الإدراك والتعرف :

إن التمييز بين الإدراك والتعرف يبدو من الصعوبة بمكان والفصل بينهما كذلك. فالتعرف يرتبط بالعملية النفسية حيث يقوم الكائن الإنساني باستقبال وتخزين واستخدام وتشغيل المعلومات. وعملية التعرف تشمل الإحساس والاستقبال والتذكر والتخيل وإصدار الأحكام واتخاذ القرار.

وترتبط عملية التعرف بالخبرة والسلوك. ويأتي الإدراك كمصطلح أكثر تحديداً فهو وظيفة نفسية تساعد الإنسان الفرد في استقبال الخبرة والإدراك نفسه يعتبر عملية معرفية.

والإدراك والتعرف يشكلان أهمية في دراسة الجغرافيا السلوكية التي هي فرع من الجغرافيا البيئية. ويشكل كل من الإدراك والتعرف قيمه في علاقة الإنسان بظاهرات البيئة خاصة على المقاييس الكبيرة للبيئة المكانية. فهل يمكن أن نتوقع تطوير البرامج إعداد طلاب الجغرافيا بكليات الآداب ليضاف هذا المقرر أو نرى تطويراً لبرامج إعداد طالب الجغرافيا بكليات التربية ليضاف هذا المقرر الغائب.